

الفصل الثامن

شخصية الطفل المعوق ذهنياً

سيكولوجية الطفل المعوق ذهنياً:

يعانى الطفل المعوق ذهنياً ألواناً مختلفة من المعاناة مثل: القلق، التوتر أو الشعور بالدونية أو الشعور بالتعاسة، وعدم القدرة على التوازن وكذلك عدم الشعور بالأمن أو الرضا.

وهذه كلها مشاعر خاصة يشعر بها صاحبها بدرجات متفاوتة تبعاً لتركيبة شخصيته، وتبعاً للاستجابات المختلفة التى يحصل عليها فى مختلف علاقاته فى محيط المجتمع الذى يعيش فيه.

ومما لا شك فيه أن هذه المشاعر تجعله يبذل الكثير من طاقاته النفسية التى كان يفترض أن ينتفع بها، ويوجهها إلى نواحي النشاط الأخرى لصالحه وصالح المجتمع.

تأثير الإعاقة الذهنية على شخصية الطفل:

إذا حدث اضطراب فى شخصية الطفل المعوق فإن نوعه ودرجته يتوقفان على عوامل مختلفة ومع ذلك، فهناك شىء واحد يجب أن نعلمه وهو:

أنه لا يوجد اثنان يستجيبان بشكل واحد لنوع واحد من الإعاقة الذهنية، وعندما يحدث اضطراب عاطفي فإنه لا يكون متناسبا مع شدة الإعاقة فقد يستطيع شخص يعاني من حالة إعاقة ذهنية شديدة أن يقوم بتكيف ممتاز، بينما نجد شخصا آخر يعاني من حالة إعاقة ذهنية أبسط بكثير من حالته الأولى، ولكن تكيفه الاجتماعي يكون أقل بكثير.

مصادر اضطراب شخصية الطفل المعوق ذهنيا:

إذا وجدت اضطرابات في شخصية الطفل المعوق ذهنيا فقد تكون ناشئة عن أسباب ثلاثة:

الأول: رد الفعل عند الطفل لكونه مختلفا عن الناس الآخرين، وتكون الفرص أمامه محدودة.

الثاني: تأثير معاملة الوالدين له، وطبيعة خبراته الاجتماعية.

الثالث: تعطل جزء من المخ يؤثر في السلوك.

ويجب أن نؤكد أن الحالات التي تتسبب عن الأخيرة قليلة.

إن معظم اضطرابات الشخصية للابن المعوق ناشئة عن عوامل نفسية.

وغالبا ما تتوقف طبيعة الاضطراب في الشخصية إلى حد كبير

على سن الطفل. وقد يتخذ هذا الاضطراب عند الطفل الصغير صورة

مقاومة للعلاج.

أسباب مقاومة الطفل المعوق ذهنيا للعلاج:

١ - عدم نموه اجتماعيا وانفعاليا، ويحتاج إلى فترة زمنية، كما هو

الحال في النمو الجسمي أو العقلي.

٢ - قد يكون مجرد عدم اهتمام، أو اهتمام أكبر بأشياء أخرى، وربما يكون هذا أمراً صحيحاً.

٣ - ويعتبر عدم اهتمام الطفل اهتماماً زائداً بحالة عجزه أو معالجتها أو شعوره بالقلق تجاهها ظاهرة صحية.

الإعاقة الذهنية.. والاستجابة النفسية للطفل:

على رغم أنه من المستحيل أن تصدر أحكاماً عامة بالنسبة للأطفال المعوقين ذهنياً، لأن كلا منهم يختلف عن الآخر، كما هي الحال بالنسبة لجميع الأطفال. فإنهم يتفوقون في بعض الاستجابات النفسية وهي:

١ - الاستياء الذى يظهر على شكل ثورة:

فالطفل الذى يستاء من تحديد مجالات نشاطه يثور على والديه وعلى أى مصدر للسلطة. ويمكنه أن يفعل ذلك بدون رادع لأنه معوق ذهنياً، ولأن أنواع العقاب التى يمكن للوالدين أن يستخدموها معه محدودة. ولذلك: يجب أن يحاول الوالدان الاعتراف بحاجات الطفل النفسية من جهة وإدراك أنه ليس من صالح الطفل المعوق ذهنياً أن يتعود على رفض النظام من جهة أخرى، وتبعاً لدرجة الإعاقة الذهنية التى يعانىها الطفل وسنه، واستعداده للفهم.. يجب أن يضع الوالدان مقاييس تأديبية، لا تكون شديدة لكنها متناسبة مع نوع الذنب الذى ارتكبه.. والموقف الذى يحدث فيه ذلك.

٢ - التواكل الزائد على الآخرين:

إن التواكل الزائد هو من السمات الشائعة عند الأطفال المعوقين ذهنياً. فالطفل يخاف أن يحاول القيام بأى شىء. وهذا الخوف لا يكون موجوداً منذ البداية، وإنما ينمو فيه نتيجة لميل الوالدين والمتخصصين لحمايته. وكثيراً ما يظهر الطفل المعوق فى البداية استعداداً لمنافسة أقرانه، ولكن الكبار يميلون إلى منع عنصر المنافسة من حياته، مخافة أن يتعرض لفشل قد يؤدى إلى الاكتئاب النفسى، أو يصيبه بأضرار جسيمة.

فعلى الوالدين: إتاحة الفرصة للطفل المعوق ذهنياً للمحاولات المتكررة كى يستطيع أن يتقدم. ويجب التذكر أنه أثناء نمو قدرة الطفل على القيام بأعمال معينة، فإن الفشل الذى يصيبه اليوم، قد يتحول إلى نجاح فى الغد. فعند نقطة معينة فى أثناء جهود الطفل المتكررة يصبح قادراً على فعل الشىء الذى لم يستطع أن يفعله من قبل.

ومن غير المحاولات المتكررة لا يستطيع الطفل المعوق ذهنياً أن يتقدم.

- إن الوالدين فى حرصهما على سلامة الطفل المعوق ذهنياً وراحته، أقل ميلاً لقبول الفشل والزلات والأخطاء منهما فى حالة الطفل السوى.
- وإذا أبقينا على القيود التى تحد من نشاط الطفل المعوق ذهنياً، كما يشير الطبيب بدون إعادة النظر فيها أو تعديلها، فإن امكانيات الطفل لن تنمو إلى أقصى حد لها.

لذلك فمن الواجب إتاحة الفرصة للطفل المعوق ذهنياً للمحاولة حتى لو تكرر فشله، ولإيضاح ذلك فإنه من الأفضل للطفل أن يحاول ويفشل بدلاً من ألا يحاول أبداً على الإطلاق. وتحقيق ذلك طبعاً بالنسبة للطفل المعوق ذهنياً أكثر صعوبة من الطفل السوي. لأن هناك بالنسبة للأخير توافقاً ذهنياً صالحاً بين دوافع الطفل للقيام بأشياء جديدة ونمو قدرات جديدة مناسبة للجهود التي يبذلها في ذلك وهذا التوافق الذهني لا ينتظم عند الطفل المعوق ذهنياً.. وهو لذلك أقل قدرة على تمييز ما ينبغي أن يفعله وأى المحاولات التي يمكن أن ينجح فيها.

ومع إدراكنا أنه سيفشل في أغلب الأحيان، يجب أن نعمل على ألا نشبط همته نتيجة محاولاته القيام بأشياء كثيرة لا يستطيع أن ينجحها.

● يتكون لدى الطفل المعوق ذهنياً فكرة بأن العالم مدين له بكل شيء وليس عليه أن يقدم شيئاً مقابل ذلك.

يرجع ذلك إلى ميل الآباء - نتيجة الشعور بالمسئولية الشخصية - أن يقدموا للطفل أكثر مما ينبغي، مما يتعارض مع صالحه، ويعوق نموه وتقدمه.

ولذلك لا يستطيع الطفل أن يصبح شخصاً مستقلاً معتمداً على نفسه يواجه مشاكل الحياة بشيء من التفكير المنطقي الموضوعي.

● إحساس الطفل بالضجر والتبرم وزيادة الاستياء وأحياناً بالهياج.

ويرجع ذلك إلى شعور الوالدين بالإحباط والخجل والذنب،
ورغبتهم في أن يقدموا لطفلهما المعوق ذهنياً أكثر مما يحتاج إليه،
وخوفهما المستمر عليه من الفشل.

وغالباً ما تؤدي هذه المشاعر المضغوطة إلى الإضرار بالوالدين والطفل
المعوق والأطفال الآخرين.

ومع ذلك فإن التفهم الأحسن للموقف، ولمشاعر عدم لوم الذات يمكن
أن يزيل الكثير من الأضرار.

مشاعر الأطفال الآخرين نحو الطفل المعوق ذهنياً:

١- التبرم والاستياء:

إذا أهمل الأطفال الآخرون من أجل الطفل المعوق فلهم كل الحق أن
يتبرموا ويستاءوا، لذلك ينبغي أن نعينهم على فهم الإعاقة الذهنية
بقدر الإمكان بحيث يمكنهم أن يساعدوا الطفل المعوق.

وبطبيعة الحال يمكن توضيح للأطفال الآخرين - ليتقبلوا أخاهم
المعوق - أن هناك فروقاً فردية متعددة: فبعضهم طويل وبعضهم
قصير - بعضهم أشقر الشعر وبعضهم أسود الشعر.. بعضهم أسود
اللون وبعضهم أبيض.. وبعضهم قادر أن يفعل شيئاً بمهارته أكثر
من الآخرين.

وعندما تكون الإعاقة كبيرة، يجب على الأشخاص الآخرين أن
يبادروا بتقديم المساعدة والمعونة عند الحاجة.

ويحتاج الطفل المعوق ذهنيا - في نفس الوقت - لأن يتعلم كيف ينمي مهاراته بالرغم من نواحي نقصه. وبما أن ذلك يمكن أن يتحقق عن طريق الخبرة وحدها، فإن من الواجب ألا يسرف الآخرون في تقديم المساعدة.

٢ - الشعور بالخجل من الطفل المعوق:

قد تمر أوقات يشعر الإخوة بالخجل، ولا يحبون أن يرى أصدقاؤهم أخاهم المعوق، أو أختهم المعوقة. ولكن يجب ألا يعبروا عن استيائهم منه أو منها بالكلام.

٣ - الشعور بالمحبة والاهتمام نحو أخيهم المعوق:

قد تمر أوقات كثيرة يشعر الإخوة الآخرون فيها بالمحبة نحو أخيهم المعوق والاهتمام به. ويظهرون كيف استفادوا من خبرتهم في مساعدة الآخرين.

في عيادة للأطفال المصابين بشلل الأطفال المصاحب للإعاقة الذهنية بسبب عطل في المخ. أقبل ولدان أحدهما في العاشرة من عمره، والثاني في الثانية عشرة يحملان أختهما المعوقة التي تبلغ الثامنة، وكانت في حالة عجز شديد من الشلل بالإضافة إلى الإعاقة الذهنية التي كانت تعاني منها.. ثم وضعها على منضدة الفحص.. ووقفا بجوارها يهدئانها ويشجعانها، ويساعدانها على التغلب على مخاوفها.. ولم تكن الطفلة تستطيع الكلام، وعبرت عيناها عن مشاعرها، لقد كانت تنظر إلى أخيها نظرة ثقة مليئة بالحب.

لاشك أن هذين الولدين قد شبا شخصين مُتعاونين. وعلى استعداد لمعاونة المكروبيين عن طيب خاطر. ولإسداء الخير لأولئك الذين كانوا أقل حظًا منهم بسبب خبرتهما مع هذه الأخت.

مشاعر المعوق ذهنيا وعلاقته ببيئته:

إن أكثر الأشياء أهمية للشخص هي العلاقة المتبادلة بين الشخص وبيئته. فأى ظروف تبعد الشخص عن بيئته مثل الفروق الملحوظة فى تكوينه، فى ذهنه أو مظهره أو وجود إعاقة جسميه أو نقص فى حواسه. كل ذلك له أثر ظاهر فى شخصيته، وفى انحرافه بدرجة كبيرة عن المألوف. نجد أنه إذا اعترف أفراد البيئة بوجود عاهة فى حواس الفرد أو ذهنه أو أعضاء حركته، فإن ذلك يكون له أكبر الأثر فى أن يتغلب المصاب على عاهته، ويؤدى وظائفه بطريقة مرضية، ويتخلص من مركب النقص.

ولكن لسوء الحظ لا يُقدَّر المجتمع فى جميع الحالات مدى خطورة الإعاقة التى تصيب الفرد ذهنياً أو جسمياً أو حركياً، وتكون نتيجة ذلك أن يصبح عصبياً سريع الإثارة والغضب. ويتولد لديه شعور بالاعتراض والبغض لبيئته. ويتسم شعور الأفراد نحوه بالعطف والشفقة المحبوبين بالأسى والحسرة.

الفرق بين سيكولوجية الشخصية الطبيعية وغير الطبيعية:

الشخصية الطبيعية يمكن قياسها على أساس قدرة الشخص على تكيفه مع المجتمع الذى يعيش فيه.

وعلى العكس فالشخصية غير الطبيعية هي عدم قدرة الطفل المعوق على التكيف مع المجتمع الذى يعيش فيه.

سيكولوجية المعوق ذهنياً.. ونظرتة لنفسه:

من الغريب أن المصاب يتعلق تعلقاً شديداً بالأشياء التى تشعره بالنقص فيفكر فيها طويلاً، ويفسرها دائماً ضد نفسه.

ومن الممكن تخفيف حدة الشعور لدى المصاب بالنقص وذلك: بمساعدة الوالدين له على أن يعيش فى عالمه الواقعى، وأن يعترف بعاهته ويفكر تفكيراً منتجاً، وأن يفكر فى تحسين حالته بكافة الطرق الممكنة فى حدود قدراته.

كى نحقق الصحة النفسية للطفل المعوق ذهنياً:

١ - ينبغى أن يعتبر كوحدة متكاملة تتألف من التكوين البيولوجى والبيئة والخبرات فهو يتعلم كيف يعبر عن نفسه ويتصل بالآخرين، ويقوم باكتشاف من يكون هو، وما الذى يستطيع أداءه ويتعلم أنماطاً مقبولة من السلوك الشخصى ومهارات نابغة من بيئته المألوفة.

٢ - اعتبار كل طفل معوق ذهنياً قابلاً للتدريب:

تبين أخيراً أن الحاجة ماسة إلى إدخال الأسس التربوية الحديثة فى برامج تعلّم الطفل المعوق ذهنياً والقابل للتدريب. ويؤمن (كما ذكر سابقاً) كثيرون من العاملين بالمدارس بضرورة اعتبار كل طفل شخصية مستقلة، ومعاملته على هذا الأساس، مع بذل الجهد لتنمية طاقاته إلى

أقصى حد - برغم أن قدراته الذهنية محدودة - ويراعى فى هذا الاتجاه تفرد كل طفل عن غيره بمميزاته الخاصة وقدراته الفردية، ومواطن الضعف به، وبيئته العائلية.. الخ.

٣ - ينبغى مراعاة الحاجات النفسية للطفل المعوق ذهنيا:

الطفل المعوق ذهنيا له نفس الحاجة العميقة - التى للطفل الطبيعى - وهى: أن يكون محبوباً، ومرغوباً فيه، إنه يحتاج إلى الإحساس بالأمان، ويحتاج إلى أن ينتمى إلى الآخرين، وأن تكون علاقته بهم طبيعية. كما يحتاج إلى أن يكون نشطاً مبدعاً.

فإذا توفرت هذه الحاجات، وأصبح الطفل ملماً بالعالم المحيط به تظهر فيه معرفته بمن تكون هو، وبما هو قادر على أدائه.

هذه الاحتياجات التى يولد بها الطفل تكمن دائماً فى وعى المدرس حين يخطط لتجارب ذات معنى للطفل كفرد، وللطفل كمجموع.

الطفل المعوق ذهنيا وحاجته للاستقلال:

يستطيع الطفل المعوق ذهنيا والقابل للتدريب أن يتعلم كيف يتصل بالآخرين، وأن يتمشى مع الأسرة والمجتمع، متمتعاً بحقوق الملكية محترماً إياها، وأن يكون غير معتمد على والديه فى العناية بنفسه، واتباع العادات الصحية، والمحافظة على سلامة نفسه، وأن يساعد فى الأعمال المنزلية البسيطة. وأن يسهم فى أعمال روتينية فى ورشة أو فى أى مجال آخر مأمون.

ويجب أن يدرك الآباء والمدرسون أن هذا الطفل لن يصل أبداً إلى الاكتفاء الذاتي بحيث يتخذ قرارات جوهرية، إنه سيظل في حاجة إلى الإشراف، وإلى قدر معين من الرعاية، وإلى المساعدة المالية طوال حياته.

الطفل المعوق ذهنياً وسلوكه:

- تنشأ عند الطفل المعوق صور مختلفة من السلوك. وينمو جسمياً إذا حصل على الغذاء اللازم.

- يصبح مشاكساً، له ميول عدوانية.

- يصبح منطوياً على نفسه حين لا يستطيع أو لا يُسمح له أن يعبر عن نفسه.

- تختلف استجاباته للناس من شخص لآخر.

- كما أنه يبدي عدم رضاه عن الخبرات التي تفوق إدراكه.

- وعادة ما يكون نموه البدني والنفسي أسرع من نموه الفكري.

سلوك الطفل المعوق ذهنياً في البيت والمدرسة:

يختلف سلوك الطفل المعوق ذهنياً في البيت عن سلوكه في المدرسة بدرجة تفوق كثيراً ما يعتقده كل من المعلم أو الوالدين.

ففي البيت: تزداد حركات اتصاله بالآخرين، بالإضافة إلى ثورات الغضب والعناد وغيرها من السلوك غير الاجتماعي.

إن الاختلاف بين سلوك الطفل في المنزل وسلوكه في المدرسة يدل بوضوح على أن الأسرة كثيراً ما تضغط عليه عن غير قصد وتنتظر منه المستحيل.. الأمر الذي ينتج عنه انفجارات انفعالية.

أما في المدرسة: فغالبا ما يقبل الطفل كما هو، ويدرك نواحي نقصه واحتياجاته، ويجتهد أن يحول حركاته الجسمية، ومحاولاته الصوتية للاتصال إلى أوجه نشاط مقبول اجتماعيا.

الطفل المعوق ذهنياً وحاجته إلى اللعب الحر:

اللعب الحر يزود الطفل بوسيلة من أفضل الوسائل للتعبير عن نفسه. ويجب أن يراقب المدرس لعب الطفل بدقة للوصول إلى أدلة لمشكلات الطفل الخاصة. فمجرد معرفة الطفل أن له الحرية في اختيار النشاط الذي يروق له يزول عنه التوتر. لهذا يستحسن تخصيص فترة اللعب في بداية اليوم. لمساعدة الأطفال على الترويح عن أنفسهم بعد الرحلة إلى المدرسة. وفي هذه الفترة ينصت البعض منهم إلى الموسيقى وينشدون على نغماتها. ويقضون الوقت بالدق بأقدامهم على الأرض، أو الرقص.. في حين يبني آخرون مكعبات أو يعبثون بالماء أو يتطلعون إلى الكتب المصورة.. الخ.

كيف يحاول الطفل المعوق ذهنياً الاتصال بالآخرين؟

عن طريق صوتين:

١ - الأصوات الذاتية والصراخ.. والأصوات الصادرة من الحنجرة،

(مرحلة مبكرة).

٢ - النشاط اللفظي «مرحلة لاحقة».

وحين يجد الطفل أن محاولاته للاتصال لا تُفهم يصاب بخيبة أمل، وربما كان قصور الطفل عن التعبير عن نفسه وأن يكون مفهومًا من الآخرين، أقوى عامل مثبط في حياة الطفل المعوق ذهنيا والقابل للتدريب.. وعلى ذلك فإن الاتصال بالآخرين يصبح أهم هدف في البيت وفي المدرسة معا.

وإذا فشل الطفل في الاتصال بالآخرين، فإنه يعبر عن توتره النفسى عن طريق الحركة البدنية. والمشكلة التى تواجه الوالدين والمدرس هى أن يحولوا الحركة الجسمية إلى وسيلة للاتصال.

أنواع الحركات لدى الطفل المعوق ذهنيا والقابل للتدريب :

- ١ - الحركات البسيطة لجسم الطفل: كالقفز. والإهتزاز. والتأرجح، وتحريك الذراع أو الأرجل.
- ٢ - التنقل من مكان إلى آخر فى أرجاء الغرفة.
- ٣ - الحركات التى يستخدم فيها جسمًا ما كما يشاهد فى القذف، واللعب بالكرة وبناء المكعبات.
- ٤ - حركة موجهة إلى الطفل نفسه: كالخدش. وتمزيق الملابس. وشد الشعر.

علامات استجابة الطفل المعوق ذهنيا للتكيف الاجتماعى:

- ١ - حين يستطيع التعامل مع الآخرين.
- ٢ - أن يمارس عادات حسنة فى ميدان العمل، وأن يتبع التعليمات.

٣ - أن يعتنى بمظهره، وأن يحظى بثقة الناس. وأن يبلغ مستوى لائقا في العناية بنفسه.

٤ - أن يتبع القواعد الصحية الشخصية.
ولكن قبل أن يحقق هذه الأهداف ، ينبغي أن يكون قادرا على الاتصال بالآخرين.

وسائل اتصال الطفل المعوق ذهنيا بالعالم الخارجي

١ - المدرس الحاذق يدرك أن أى قدر من الكلام أو القراءة لن يكون فعالا فى تعلم الطفل المعوق ذهنيا، مثل لمس الطفل لشيء محسوس أو إشراكه بنفسه فى موقف ما، ذلك أن لمس الطفل المائدة أو مشاهدته قطرات المطر تتناثر على النافذة أكثر معنى بكثير من رؤيته صورة فى كتاب أو حتى سماعه وصف هذه الصورة من شخص بالغ.
ويستخدم المدرس كل موقف يعبر فيه الطفل عن اهتمامه به لخلق تجربة تعليمية.

٢ - الرحلات تزود الأطفال المعوقين ذهنيا والقابلين للتدريب بإمكانيات لا مثيل لها ليتعلموا كيف يعيشون فى المجتمع ومع غيرهم من الناس.

وبوسعهم القيام برحلات إلى المتنزهات وإلى حديقة الحيوانات.. الخ.

كما يستطيعون مراقبة كناس الشارع، وساعى البريد، ورجل الشرطة فى عملهم.

٣ - قيام الطفل المعوق ذهنيا والقابل للتدريب بدور سائق أتوبيس
أو بناء محطة سكة حديد بالمكعبات أو رسم للمزرعة التي زارها..
هذه هي الوسائل التي يستطيع بها التعبير عن نفسه، وبذلك ينشأ
الطفل نافعاً، قادراً على الاتصال بالآخرين بطريقته الخاصة.

